

يُحَدِّثُكَ اللَّهُ ﷻ فِي آيَةٍ كَرِيمَةٍ فَيَقُولُ: ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء، 36)

وَيَقُولُ رَبُّنَا ﷻ أَيْضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا، فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات، 12)

تُعَلِّمُنَا هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَتَّبِعُ الظَّنَّ، وَلَا يَبْحَثُ عَن عُيُوبِ النَّاسِ وَدُذُوبِهِمْ، وَلَا يُسَارِعُ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّ مَا يَسْمَعُ، بَلْ يَتَحَقَّقُ وَيَتَبَيَّنُ، وَيَتَّبِعُ الْحَقِيقَةَ فِي أَحْكَامِهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَقَابِلُ

كَمْ مِنْ ظُلْمٍ وَجَفَاءٍ وَقَعَ بِسَبَبِ كَلِمَاتٍ صِدَقَتْ دُونَ تَحَقُّقِ فَكَلِمَةٍ، أَوْ افْتِرَاءٍ، أَوْ نَمِيمَةٍ، قَدْ تُظْلِمُ حَيَاةَ إِنْسَانٍ كَامِلَةً. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِفْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (مُسْلِمٌ)

وَهَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةُ عَلَى عَاتِقِنَا جَمِيعًا، وَلَكِنَّهَا أَعْظَمُ خُصُوصًا عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَعَلَى مَنْ تَوَلَّوْا مَقَامَاتِ الْإِدَارَةِ وَالْقِيَادَةِ. فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَلَّا يَتَعَجَّلَ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يَسْمَعُ، وَأَلَّا يَسْمَعَ الشَّكَاوَى مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَأْتِنِي وَيَتَحَرَّى بِصَبْرٍ. فَإِنَّ الْأَحْكَامَ الْمُتَعَجَّلَةَ كَثِيرًا مَا تَكُونُ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ.

وَأَخْتِمُ حُطْبَتِي بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ن، 18).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوقِعُ الْإِنْسَانَ فِي الْخَطَا أَنْ يُصَدِّقَ كُلَّ مَا يَسْمَعُ، وَأَنْ يَخُكِّمَ دُونَ تَبَيُّنٍ وَبَيِّنَةٍ. وَفِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي اخْتَلَطَ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّ أَعْظَمَ مِيزَانٍ لِلْمُؤْمِنِ هُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْحَقِيقَةَ أَصْلًا، لَا مَا يَسْمَعُهُ.

وَمَوْضُوعُ حُطْبَتِنَا الْيَوْمَ عَن أَضْرَارِ تَصْدِيقِ كُلِّ مَا يُقَالُ دُونَ تَحَقُّقٍ وَتَبَيُّنٍ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات، 6/49)

تُبَيِّنُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِوُضُوحٍ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ خَبَرٍ صَحِيحًا. وَلَا سِيَّمَا أَخْبَارُ الَّذِينَ يَنْقَلُونَ الْكَلَامَ وَيُفْسِدُونَ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يُعْتَدُ بِهَا. فَإِنَّ النَّمِيمَةَ مُحَرَّمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَنْ جَعَلَهَا عَادَةً فَهُوَ فَاسِقٌ، كَمَا وَصَفَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامًا» (الْبُخَارِيُّ)

وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُنْتَبَهَ لَهُ هُنَا هُوَ: الْمُبَادَرَةُ إِلَى تَصْدِيقِ كَلَامٍ مَنْ يَنْقَلُ الْأَخْبَارَ، وَالْإِيمَانُ بِمَا يَأْتِي بِهِ دُونَ تَحَقُّقٍ. فَالْكَلَامُ الْمَنْقُولُ قَدْ يَكُونُ نَاقِصًا، أَوْ خَاطِئًا، أَوْ يَكُونُ النَّاقِلُ لَهُ ذَا نِيَّةٍ سَيِّئَةٍ. فَإِنَّ نَقْلَ الْإِنْسَانِ مَا يَبْلُغُهُ كَمَا هُوَ دُونَ تَبَيُّنٍ، فَقَدْ ارْتَكَبَ حَرَامًا.

وَإِنْ كَانَ فِي الْكَلَامِ نَقْصٌ أَوْ زِيَادَةٌ أَوْ كَذِبٌ، فَإِنَّ النَّاقِلَ لَا يَكُونُ تَمَامًا قَطُّ، بَلْ يَكُونُ مُفْتَرِيًا أَيْضًا، وَيَزْرَعُ بَدْرَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَنَحْنُ إِنْ صَدَقْنَا كُلُّ مَا يُقَالُ وَحَكَمْنَا بِهِ، شَارَكْنَا فِي هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَسَاهَمْنَا فِي تَشْرِيقِ الْفِتْنَةِ وَتَأْجِيجِهَا مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (الْبُخَارِيُّ)